

اليمن.. البلد الاستثناء



عبدالرحمن مراد

تحدثت في حوار قائلًا إن اليمن لا يمكن أن يُدار من الغرف المغلقة أو من خلف الأسوار، لذلك فحالة عدم استقرار الفترة الممتدة (١٩٦٢ - ١٩٦٧) لم تكن بسبب الولاء المطلق للدولة المتوكلية اليمنية (١٩١٨م - ١٩٦٢م) بقدر ما كانت تعود لأسباب موضوعية لعل أبرزها عدم إدراك قيادة الثورة لطبيعة الإنسان اليمني وطبيعة المرحلة.. وقد تحدث البردوني في كتابه قضايا يمنية عن قيادة الجماهير وكيفية إدراك أسرارها الموضوعية والتاريخية، فالتعبير وحالة الانتقال ترتبط بقدرة إدارة التناقضات وبقدرة القائد - أي قائد - على الوصل الجماهيري لا الفصل.

وقيم الخير والحق والسلام، لذلك فدعوات الزعيم علي عبدالله صالح إلى طي صفحة الماضي وإلى الحب والخير والسلام أصابت خصومه كل خصومه بمقتل، إذ لا تكاد تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزًا، في حين تجد فئات الشعب المختلفة تنهب إلى بيت الزعيم وتحيطه بحبها وتقديرها وتجد في (كاريزمته) ملاذًا لها من عبث الواقع، وامتلاءً تسد به فراغًا وجدانيًا تركه غيابه.

هذا الفلاح ابن التربة اليمنية الذي عجنته شمس التجربة استطاع أن يصنع لنفسه مجداً لا يسعنا إلا أن نرفق قبعاتنا - على طريقة الغرب - إجلالاً وتقديرًا له، أقول ذلك وأنا من عارضه إبان حكمه وكتب عنه كما لم يكتب أحد، وجل إصداراتي التي بلغت حتى اللحظة تسعة إصدارات لا يكاد يخلو منها نقدي له أما تصريحًا أو تلميحًا، ولكنني الآن أدركت أنه كان يملك قلبًا بقاءً وظهر اليمن، وعقلاً وحكمة وفلسفة القيل البعاني (ذو رعين) وصبرًا قادرًا على تحمل الألم يفوق عبد يغوث الحارثي الذي سخر من الشيخة العنشمية وهو في قمة ألمه وتزيفه وانكساره.

هذه الخواطر خامرتني وأنا أشاهد التلفاز أثناء بثه لفعالية شباب «الفيس بوك» وعجبت كل العجب حين رأيت الشباب يتدافعون من كل حدب وصوب وليس لهم من منغم إلا لقاء الزعيم.. وكلم كنت أسخر في الماضي من المؤتمر حين كان لا يستطيع أن يحشد أحدًا إلا بالإغراءات المالية، والأغرب أن يتحول المؤتمر من مستهدف بالتغيير إلى صانع للتغيير، وقد تكرر معي هذا المعنى في أكثر من مقال لأنني لم أزل في حالة الدهشة التي صنعها ذلك التحول للمؤتمر وذلك الكوموس لخصومه.

ما يعيز المؤتمر عن غيره أنه كان يعني المنطلق والغاية والهدف والفكرة وليس له امتدادات خارجية شأن غيره، وهذا سر استمراره وتفرده واتساع قاعدته الجماهيرية.. وكلم توقعت سقوطه تحت مطارق الربيع العربي، فلم يزد ضربه إلا ثباتًا وتماسكًا وانتساعًا وهو ما لم أكن أتوقعه، إذ توقعت سقوطه، كما سقط غيره من الأحزاب في دول الربيع العربي، وتوقعت أن تذهب قاعدته الجماهيرية إلى الحركة الحوثية.. ولعل القارئ يذكر مثل ذلك، لكن أصالة منيعه وقوة ارتباطه بالهوية الحضارية جعلته الرقم الأصعب في المعادلة السياسية الوطنية.

يبقى القول إن اليمن هي البلد الاستثناء.. البلد المتناقض والمتغير والمتعدد والذي لا يمكن أن يخضع للفرغ المغلقة ولا يقبل إلا بحالات الوصول إلى القواعد والقيادة، ودلائل التاريخ متعددة سواء ما كان قد مر في غابر الأيام أو العصور أو ما هو حديث ومعاصر.. وعلى من أراد أن يحكم هذا البلد أن يدرك مثل تلك الخصوصية.

المؤتمر كان يعني الهدف

ما يميز المؤتمر عن غيره أنه كان يعني المنطلق والغاية والهدف والفكرة وليس له امتدادات خارجية شأن غيره، وهذا سر استمراره وتفرده واتساع قاعدته الجماهيرية.. وكلم توقعت سقوطه تحت مطارق الربيع العربي، فلم يزد ضربه إلا ثباتًا وتماسكًا وانتساعًا وهو ما لم أكن أتوقعه، إذ توقعت سقوطه، كما سقط غيره من الأحزاب في دول الربيع العربي، وتوقعت أن تذهب قاعدته الجماهيرية إلى الحركة الحوثية.. ولعل القارئ يذكر مثل ذلك، لكن أصالة منيعه وقوة ارتباطه بالهوية الحضارية جعلته الرقم الأصعب في المعادلة السياسية الوطنية.

بين الاختلاط وفك الارتباط



شاءت موجات الأعاصير الربيعية أن تعيد تشكيل وعينا وتجديد النظرة إلى هويتنا وفرض أنماط ثقافية وسلوكية أكثرها مستورد من ثقافات متصادمة في عمقها الروحي، وتجليها الحضاري مع تراثنا الديني والثقافي.. عدا قليل مشترك، ومن هذه المفاهيم والمصطلحات التي كُذف بها على سواحلنا الربيع الساخن الطاحن.. «الاختلاط» الذي طفا على السطح ودخل وتداخل مع أحداث اصطبلنا بسعيرها لعامين ويزيد، ونورد في هذه المقالة إشارات سريعة لدلالات ووقائع هذا المصطلح، مؤثرين التقييم تجنبنا لـ«الخلط»، ولسهولة إيصال المحتويات.

أحمد مهدي سالم

(١) وقفة لغوية.. «خ ل ط»: خلط الماء بالشراب وخلطه الماء وخلطه، واختلط به.. وخلوط في عقله واختلط، ورجل خلط: يتجيب إلى الناس ويختلط بهم، وقد خالطهم وخلقهم.. قال طرفة:

خالط الناس خلق واسع لا تكن كليا على الناس تهرُ
(أساس البلاغة: الرمخسري، ص ١١٨)

(٢) اختلاط الحابل بالنابل: واختلاط الذين يصيدون الفرائس بواسطة الجبال وبين الذين يصطادونها بالنبال (السهام) انعدمت المعرفة وضاع التمييز ويتبعه اختلاط في الفهم والنظرة بين التأثير الحقيقي وبين الخارج على القانون.. بين المعارض الوطني المستقل والمعارض الماجور المستسلم من تمويل الخارج.. وعلى قول المثل الشعبي: «ما في فائدة من الأجنبي ولو جاء بزاده وماه».

(٣) اختلاط دماء الشهداء والشهيدات في شوارع الانتفاضات العربية.. مما عزز التلاحم وعيد الطريق إلى الانقراض السريع للإطاحة ببرؤوس الأنظمة، وبجزء من أهم مكوناتها، وإحداث فعل التغيير كما يشتهون.

(٤) الربيع خلط الدين بالسياسة وخلط السياسة بالرياسة، ولتوضيح الثنائية: انظر حال مصر.. نتائج كارثية لمباراة الأهلي والمصري في بور سعيد وعنف وقتل وجرح مشجعين، و«التراس» المنقلب من حقل الرياضة إلى أفق المعارضة السياسية والتخريب وأحكام إعدام واعتراضات ومبايزال المسلسل مستمرا وفتاحا شديقه للمزيد من الضحايا الأبرياء والتدمير العام.

(٥) اختلاط قيم الفضيلة والحق والصدق والجمال مع سلوكيات الرذيلة والحدق والانتقام.. مع انتصار مؤفث للثانية.

(٦) اختلاط الشباب والشابات في بلادنا في المسيرات والمهرجانات والاعتصامات مع وجود خيم في الشوارع وفي الندوات والحفلات.. مناهضة للنظام وتحريضاً على سرعة القضاء عليه، وحدث في ابريل ٢٠١١م أن تم الاعتداء على عدد من الناشطات المعارضات بتهمة الاختلاط أو التأخر في المسيرة أو السير مع زملاء محددین، فضربن من قبل جنود الفرقة ضرباً مبرحاً، وكذا نال الزملاء الشبان المقارعون علقه سائخة، واشتهرت وقتها دعوة الرئيس السابق علي عبدالله صالح بعدم جواز الاختلاط وقبول بحملات إعلامية ومظاهرات ضاربة.

(٧) لا تستطيع التفريق بين المعتمد أو البلطجي لوجود أكثر من غطاء سياسي حزبي وهناك من يشعرون بالقتل والتدمير والتعطيل ويدفع بسخاء.. بالتنسيق مع الخط الساخن.. داخل البلد أو خارجه، وغالبًا ما تكون مجموعة الدفع المسبق في مفاصل بعض السفارات أو منظمات المجتمع المدني أو مراكز البحوث.

(٨) كلمة (اختلاط) حروفها ووقعها الموسيقي ورسمها قريبة من التركيب الإضافي (فك الارتباط) مع اختلاف في المعاني والمغازي، وقريب منها: اشتراط، انحطاط، اعتباط، انحراف، اغلاط، انفراف، انبساط.

(٩) اختلاط في اللون.. عمى الألوان الذي يصيب كل الحيوانات تقريباً.. ويصاب به عديدون من البشر فيرون كل الأشياء منحصرة فقط في لونين فقط: الأبيض والأسود، وحتى الأبيض أكثرهم.. يعقبتونه، ويهييمون عشقا باللون الأسود (مثلا .. قطع الكهرباء، الأفكار

ثمة نماذج في تاريخنا المعاصر لابد من الوقوف أمامها لتكون نبراساً يضيئ مسالك المستقبل ويؤيد ما كان نظرياً وهو نموذج حركة (١٣ يونيو) التي استطاعت من خلال النخامع ما تطلعات الجماهير - وكانت أكثر تعبيراً عن لحظاتها الوجدانية وأكثر قرباً منها - أن تكون حدثاً تاريخياً استثنائياً من خلال بسطها لنفوذ الدولة على معظم ربوع ونواحي اليمن وأن تؤسس للدولة المنشودة، وقد كانت الدولة بمعناها مفقودة بل يمكن الجزم بالقول إنه قبل حركة (١٣ يونيو) لم تكن هناك دولة.. والنموذج الآخر هو نموذج سالم ربيع علي الذي ترك ذكرى عمرة في وجدان وذاكرة الإنسان من خلال وصل ما انقطع بين القيادة والجماهير واشتغال على الذات اليمنية الحضارية والثقافية اليمنية (الهوية التاريخية).

وفي النموذج الحديث نجد تجربة الرئيس السابق علي عبدالله صالح الذي استطاع أن يحدث قدراً من التوازن ومن التواصل بينه وبين جماهير شعبه إلى درجة الإفراط، فنشاطه قد يتعد في اليوم الواحد ويثبت التلفاز خطاباته المتعددة، وكان الناس يحرصون على التخشب أمام شاشة التلفاز في تمام الساعة التاسعة مساءً - يبدو أن هذه اللحظة الزمنية (التاسعة مساءً من كل يوم) كانت هي الرابط الوجداني الذي من خلاله يتواصل الرئيس مع أبناء شعبه من خلال ذلك النشاط وذلك النزول الميداني، وأذكر أنني في أحد الأيام كنت في ضيافة كلية التربية بمحافظة المهرة وكان لي حوار مع عميدها وقتئذٍ وبدين حديثاً كان حول الرئيس علي عبدالله صالح، ولا أذكر سراً إن قلت إننا تحدثنا عن الإفراط في خطابات الرئيس وكان موقفاً من ذلك الإفراط موقفاً سلبياً، فقد ذهبنا إلى القول أنه لا يتوجب على الرئيس أن يسبب في خطابه بمثل ما دأب عليه إلى الحد الذي يوقعه في التناقض مع نفسه.

طبعاً لم أدرك حينها خصوصية اليمن، وحين عثقت بنا مناقات ٢٠١١م بدأت بالتأمل ووجدت أن ذكاء الزعيم كان وراء هذا الحضور السياسي والجماهيري المتزايد له، فالرجل الذي سبر غور الحياة وتعارك مع التناقضات كسب خبرة لا يمكن التقليل من شأنها، ويمكن أن نقول إن غيابه خصومه خدمه إلى درجة غيابه من الوجدان الشعبي وحضوره وتجدده في ذلك الوجدان، فالروح العامرة بالحب والسلام والتصالح والتسامح قادرة على البقاء والحياة والاستمرار، والروح العامرة بالحدق والموت والدمار والإلغاء والإقصاء ليست جديرة بالحياة، ولا يمكن للوجدان الشعبي أن يمنحها ثقة أو يحيطها بحنائه والتفانم جولها، لذلك فأناس تنفض عن اللفظ الذي يكون غليظ القلب، وهي الأميل بحكم فطرتها التي فطرها الله عليها إلى العفو والتسامح

لقطات:

> قال لي: من يستحق العقاب؟
أجبت:.. من يزرعك عبوة فكرية ناسفة.. تتشجر في المكان الخطأ والزمان الخطأ، ومن البداية.. خطأ!
> أحلم بزعيم يرمي شعبه بقنابل مسيلة للحب ويهدي أطفالهم العباب مسدسات كاتمة للوجع والأينين.
> «من أمرن العقوبة أساء الأدب».

مقولة قديمة
> لو خدمنا الناس بإخلاص لأشرفت شمس الفضيلة من وجوهنا ولرقصت لنا الزورد فرحاً.
> كثرة الشخصنة تقود إلى الملعنة وتهوي بك إلى الشيطنة..
أقوال الكلام:
> تطلعت في يومي رضاءً وشدّة
وناديت في الأحياء هل من مساعد؟!
> فلم أرَ فيما ساءني غير شامت
ولم أرَ فيما سرّني غير حاسد
< الأراجاني

الحوار الوطني.. والممارسات المهددة للتسوية

هذا خلافاً لمحاولة تلك القوى الوقيعة بين فخامة الاخ رئيس الجمهورية والرئيس السابق رئيس المؤتمر الشعبي العام، لكن قيادة المؤتمر وحزب التحالف الوطني الديمقراطي ومنها الجبهة الوطنية الديمقراطية تمتلك قراءات عميقة للواقع الوطني بكل تفاصيله وما هو متوقع مستقبلاً مع المجتمع العالمي، حيث إنه إذا تعامل المؤتمر وحلفاؤه مع تلك التهديدات للتسوية بردود أفعال متسارعة سيضرر الشعب والمصلحة الوطنية، وذلك ما تهدف إليه تلك القوى لهذا لن يسمح المؤتمر وحزب التحالف بذلك كمسئولية وطنية تاريخية تقع عليهم في هذه المرحلة.

وفي هذا السياق استطل رأيتنا للحوار الوطني في إطار اتفاق التسوية السياسية ان تؤدي مخرجاته ونتائجه إلى تبلور مشروع وطني حضاري جديد يجمع عليه أبناء الشعب لينتهي التنازع على شعار التغيير والقضاء على الاستخدام العنفي لمصطلح ومسمى الثورة ويتشكل اصطفاً وطني واسع لتحقيق التغيير الحقيقي وثورة جذرية شاملة جديدة تتجدد بها روح ثورتي سبتمبر وأكتوبر وهذا هو المعيار الوحيد لنجاح مؤتمر الحوار الذي سيدافع فيه الشعب عن ارادته الحرة والقوية انتصاراً لخياراته الوطنية المصرية وفي مقدمتها استكمال بناء الدولة المدنية.

الاستفزازات والتهديدات هو مطالبة تلك القوى بما تسميه رفع الحصانة عن الزعيم علي عبدالله صالح رئيس المؤتمر الشعبي العام، وكذا تدخلها بالسافر ومطالبتها للزعيم بالتنازل عن منصبه كرئيس للمؤتمر الشعبي العام وبرغم ذلك مازال حتى هذه اللحظة المؤتمر وقياداته يتعاملون بمسؤولية وطنية عالية مع هذه الاستفزازات ولا يلتفت إليها

عليها كل أبناء الشعب، إلا انه مع الأسف الشديد أصبحت بعض القوى السياسية في الوقت الراهن ادوات تتحرك وفق موجهاً وتأثيرات خارجي، وبالتالي كان وما زال الحضور الدولي قويا في المشهد السياسي منذ تفجر الأزمة جعل التسوية وسير تنفيذها تتسم بطغيان الطابع الشكلي بانجازاتها وابتعادها عن جوهرها كما تبرهن على ذلك معطيات وفعالات وتطورات المشهد السياسي وفي هذا الاتجاه بذل الاخ المشير عبدييه منصور هادي رئيس الجمهورية جهوداً وطنية جبارة ومضنية لإنجاح التسوية السياسية وانجاز مهام المرحلة الانتقالية وفرض هذا المسار الملزم في ادارة الدولة والمجتمع، لكن هذه الجهود تصدم بتواصل المعطيات السلبية والاستغلال والتوظيف المبتذل والرخيص ذو الطابع الاقصائي والعدائي من قبل بعض القوى وادواتها ومن يقف وراءها بممارسة تهديداتها ميدانياً وعملياً لنسف هذه الجهود وعدم الالتزام بالتسوية السياسية وخاصة من خلال فرض عناوين مسمياتية لممارسات هذه القوى سياسياً او مصطلحاً الثورة وفهم التغيير بأنه السير في تحقيق الانقلابات والمشاريع الخاصة على حساب مصلحة الشعب.. ولعل المسيرات والمظاهرات التي ترفع شعارات ومطالب تنسف التسوية والشراكة الوطنية وهذه القوى تريد من وراء ذلك تنفيذ مشاريعها الخاصة الاقصائية التي ستؤدي إلى تعزيز الوطن وانهيار الدولة والدخول في حروب اهلية لا تبقو ولا تدر، ولعل من أهم وأبرز هذه

فانه مع انطلاق مؤتمر الحوار مازالت تبدو بعض التحديات أمام انعقاده وضمان نجاحه وفق مسارين احدهما متصل بذات حدث الحوار والصراع على مخرجاته بصورة مباشرة والمسار الآخر متصل بالتحديات والاشكاليات والازمات واداء ومواقف بعض القوى السياسية والتي تؤثر سلباً على مؤتمر الحوار وتضعف الأمل بنجاحه رغم أهمية ذلك بالنسبة لكل أبناء اليمن الذين يتطلعون إلى الانتقال لواقع أفضل يتحقق فيه التغيير والبناء النهضوي في ظل دولة مدنية وحرية وعدالة ومساواة بين كل أبناء الوطن، إلا ان التداعيات والتشكيكات بين مختلف القوى لاتساعد على ان يتعزز الأمل لدى أبناء الشعب بتحقيق تطلعاته المشروعة طالما ظلت تصر على اتهاج تنفيذ اجندتها على حساب المصلحة العامة للشعب والاصرار في ممارستها المغلوطة ونشاطها التضليلي المضر بالوطن والسلم الاجتماعي والوحدة الوطنية، حيث ان هذا الاصرار من قبل هذه القوى قد أدى إلى اضعاف الدولة واتساع نطاق الفوضى وشبه الانهيار للاقتصاد مع التدهور الشامل للحياة المعيشية للمواطنين وغياب الامن والاستقرار، خاصة انه بعد مضي أكثر من عام من بدء تنفيذ اتفاق التسوية وتشكيل حكومة الوفاق غداً المواطن يشعر بالاحباط لانه لم يتحقق له أي انجاز يلمسه في حياته ولم تتجسد في اداء الحكومة رؤية جديدة لإدارة المجتمع.

لقد مثلت التسوية السياسية فرصة سانحة لبناء اساس متين لشراكة وطنية تتوسع وتتمدد لتشكّل نموذجاً وطنياً غير مسبوق في الشراكة التي تترجم في اسهام كل أبناء الشعب في ادارة شأنهم العام وتحقيق امانهم وتطلعاتهم وبالتالي يتحقق التغيير الحقيقي وفق رؤى وتوجهات ومعالم واضحة يجمع



نتوان ناصر النصيري

تبدأ أعمال مؤتمر الحوار الوطني الشامل اليوم برئاسة الأخ عبدييه منصور هادي رئيس الجمهورية والذي يأتي كأهم استحقاق ضمن سير تنفيذ التسوية السياسية وأهم بنود برنامج الآلية التنفيذية الزمنية المستند على المبادرة الخليجية لحل الأزمة، وأذ نشيد بما حققته اللجنة الفنية للاعداد والتحضير للحوار الوطني من مهام انيطت بها على الرغم مما صاحب سير عملها من اشكاليات ومنغصات ومحاولات اعاقه سير انجاز مهامها.